مشروع دونهوانغ الدولي:
جمع كنوز طريق الحرير على الانترنت

> لندن–كارين دابروفسكي

قبل أكثر من ألف سنة دفع الرهبان البوذيون وأتباعهم مالا من أجل حفر مئات المعابد في الكهوف على واجهة الحافات الجبلية قرب دونهوانغ. وهي مدينة فيها حامية عسكرية عند ملتقى الفروع الشمالية والجنوبية لطريق الحرير، حيث يبدأ القسم النهائي من الرحلة الشاقة إلى العاصمة الصينية.
وقد بقي الموقع مجهولا ومهملا حتى سنة 1900، حيث اكتشف راهب صيني كهفا سرّيا ومختوما، مليئا بالمخطوطات القديمة، والوثائق المطبوعة ورسومات على الحرير.

جزء من "البوذنامه سوترا"
Sección del 'Buddhanama sutra'

كان القسم الذي يقع في آسيا الوسطى من الصين، والذي تحتل معظمه الآن إحدى مناطق العالم الصحراوية المخيفة، منطقة مليئة بالحياة حيث يعيش الأهالي على زراعة المحاصيل التي يغذيها ذوبان الأنهار الجليدية من الجبال المحيطة. ولكن التغيرات المناخية والتهديد بالغزو أجبر الناس على هجر المنطقة التي كان الرهبان البوذيون، كما يبدو، مصممين على الحفاظ على كنوزهم فيها، والتي كانت مخبأة في مغارة في مكتبة كهف في دونهوانغ ومواقع عديدة أخرى في طريق الحرير القديم، من مدن ومعابد ومقابر في صحراء تاكلاماكان وصحراء غوبي.

وبعد الحفريات التي أجريت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وجدت عشرات الآلاف من المخطوطات واللوحات والمنسوجات وغيرها من التحف التي ترجع إلى الفترة من 100 قبل الميلاد إلى 1200 ميلادية، وهي توفر مصدرا غنيا بالمعلومات عن الدين والفن والتاريخ والسياسة والتجارة، والعلوم، والثقافة والحياة الاجتماعية في شرق طريق الحرير للألفية الأولى الميلادية. وواحد من أهم الاكتشافات المذهلة هو مخطوط صيني طوله 70قدماً.

المخطوطات مكتوبة بأكثر من عشرين لغة وخطوط مختلفة، بما فيها الصينية، والتبتية، والسنسكريتية، والخوتانية،

صورة أخذت من قبل شتاين في 1/23/ 1915 . وهي تبيّن ثلاثة شخوص أسطورية من حراس القبور إستخرجهم من قبر في أستانة قرب غوشانغ/كراخوجا
Fotografía realizada por Stein el 23 de enero de 1915. Muestra a tres guardianes de tumbas extraídos por Stein en Astana, cerca de Gaochang/Karakhoja

حزمة من المخطوطات
Fajo de manuscritos enrollados

جزء من مخطوطة عن إحصاء السكان والأراضي
Parte de un manuscrito sobre el censo de la población y de las tierras

نموذج من القطع الورقية التي استخدمت لتزيين جدران الكهوف
Trozode papel utilizado para decorar los muros de las cuevas

والاويغورية، مما يدل على الثراء الثقافي لطريق الحرير. والرسومات الجدارية واللوحات المحمولة المرسومة على الحرير، والقنب، والورق، هي في معظمها بوذية، ولكن أديان ومواضيع أخرى مصوّرة أيضا.وقد اكتشف أيضا العديد من التحف الفنية، ومعظمها بوذية، أو أواني تستعمل في الحياة اليومية، ومنسوجات.

وبعد هذه الاكتشافات، تشتت القطع في المتاحف والمكتبات في جميع أنحاء العالم، مما جعل الاطلاع عليها صعبا، فمجرد الكم الهائل من الأعمال في المجموعات المختلفة، وضع ضغوطا على موارد المؤسسات المالكة لها، مما أدى إلى انعدام الحفاظ التام في معظم المجموعات أوفهرستها أو نشرها.

لقد فرّق الاهتمام الدولي ارث الرهبان الذين بذلوا جهودا مضنية للحفاظ عليه فأصبح موزعا على أركان العالم الأربعة. ونرى اليوم تعاونا دوليا غير مسبوق لجمع كنوز طريق الحرير على الانترنت.

وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1993, اجتمع المسؤولون عن الصيانة والقائمون على العديد من المتاحف والمجموعات المالكة لمجموعات طريق الحرير، وقرروا انشاء "مشروع دونهوانغ الدولي" لتعزيز دراسة التراث الأثري لشرق طريق الحرير والحفاظ عليه، من خلال التعاون الدولي. ويوجد مقر المشروع في المكتبة البريطانية والتي تقوم بإصدار نشرة إخبارية دورية.

وقائمة مؤسسي المشروع والمتعاونين تشمل أهم المتاحف والمؤسسات الثقافية في العالم و هي: المكتبة البريطانية، المتحف البريطاني ومتحف فيكتوريا وألبرت في لندن، مكتبة تشيستر بيتي في دبلن، المكتبة الوطنية فى الصين، أكاديميه دونهوانغ، ومعهد الدراسات الشرقية في سانت بطرسبورغ، والمتحف الوطني في نيودلهي، جامعة ريوكوكو في كيوتو، مكتبة الدولة في برلين، أكاديمية برلين-براندنبورغ للعلوم والإنسانيات، المكتبة الوطنية ومتحف غيمي في باريس، متحف الاثنوغرافيا في ستوكهولم، مؤسسة سفين هيدين في ستوكهولم، المتحف الحر للفن، معهد سميثسونيان في واشنطن العاصمة، جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس، وجامعة كاليفورنيا في بيركلي، ومكتبة بيبربونت مورجان بنيويورك، ومكتبة الضيف وجامعة برنستون.

وقال سام فان شيك مدير بحوث المشروع (وهو من التبت)، لـ"السياحة الإسلامية": "تأمين التعاون الدولي كان أكبر انجاز لنا". وأضاف إن "من الصعب جمع أشخاص من مختلف المؤسسات للتحدث إلى بعضهم البعض بصراحة. هذه المواد ظلت في مكتبات هذه المؤسسات لأكثر من 100 سنة. وأمامنا اليوم فرصة رائعة لوضعها على الانترنت وجعلها في متناول الجميع".

ومن أجل جعل المخطوطات في متناول الجميع تقرر وضع فهرس لها على الانترنت وسيكون متاحا مجانا مع صور عالية الجودة بالألوان وببليوغرافيا وتعليقات وخرائط. ويتمثل الهدف النهائي في خلق قاعدة بيانات تحتوي على تفاصيل وصور لجميع المخطوطات أينما وجدت، وجعلها متاحة حقا لجميع العلماء ولتشجيع البحوث.

بدأ العمل على ادخال الفهارس في قاعدة البيانات المصممة خصيصا في سنة 1994 وحفظ المخطوطات رقميا فى سنة 1997. وعندما أطلقت قاعدة البيانات على الانترنت في تشرين الأول/ أكتوبر 1998 تضمنت تفاصيل أكثر من 20,000 مخطوطة وعدة آلاف من الصور. وبحلول عام 2001 زادت المخطوطات والرسومات إلى 30,000, والصور إلى نحو 15,000 صورة. هناك اليوم تقريبا 70,000 مادة، و115,000 صورة على الموقع الألكتروني. ويضم الموقع الآن المخطوطات والتحف واللوحات والصور التاريخية والمنسوجات.

ويجري البحث حاليا عن موارد مالية لدعم مشروع "البحث عن طريق الحرير"، وهو لعبة تعليمية على شبكة الانترنت لمن هم في الحادية عشرة من العمر والذي سيمكّن الناشئة من الشروع في رحلة افتراضية من سمرقند إلى شانغان. ■